

## ٤٤) التعليق على كتاب الداء والدواء لابن القيم المجلس الرابع

### عشر

محمد هشام طاهري

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد فهذا هو المجلس الرابع من قراءة كتاب الداء والدواء او الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي - [00:00:01](#)

ونحن في المجلس الرابع عشر في يوم الخميس الخامس عشر من شهر صفر عام تسعه وثلاثين واربع مئة والف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا زال المصنف رحمة الله يبين اذرار واوباء المعاصي - [00:00:19](#)

واثارها على نفس الانسان وبدنه وروحه وحاله وما له وكنا قد وقفنا على قوله فصل ومن عقوباتها انها تخون العبد احوج ما يكون الى نفسه فنبدأ على ببركة الله تعالى ونسأله جل وعلا ان يرزقنا توبة نصوحا وان يرزقنا العلم والعمل الصالح. نعم - [00:00:42](#)  
الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه. اما بعد فاللهم احفظ لنا شيخنا واغفر له ولوالدي لنا ولوالدينا وال المسلمين اجمعين. قال الامام ابن القيم رحمة الله فصل من عقوباتها انها تخون العبد - [00:01:11](#)

احوج ما يكون الى نفسه فان كل احد يحتاج الى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده. واعلم الناس اعرفهم بذلك على التفصيل. واقواهم واكيسهم من قوي على نفسه وارادته. من؟ من قوي؟ احسن الله اليك - [00:01:31](#)

واقواهم اكيسهم من قوي على نفسه وارادته فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره. هذه المسألة عظيمة وهي ان الذنوب والمعاصي تذلل تذلل العبد حتى يصبح بعد ذلك آآ يصاب بالغدرة من حيث لا يحتسب - [00:01:51](#)

لان نفسه اصبحت خواة خوانة ولم يستطع ادارتها ولم يستطع ان يقودها الى حيثما فيه منفعتها ولذلك نجد نحن ان الذين يتذلون  
الزمام لنفسهم لا يفلحون لا في الدنيا ولا في الدين - [00:02:16](#)

ومن الناس من يملك زمام نفسه في الدين لا في الدنيا ومن الناس من يملك زمام نفسه في امور الدنيا لا في الدين فيجمع  
من المال ويركب نفسه ويرغماها على امور لا يستطيع فعل ذلك في امور الدين - [00:02:43](#)

فمثلا تجد انسان لا بد ويستيقظ مبكرا للعلم لكن لا يستيقظ لصلاة الفجر هذا موجود. فمن اطاع نفسه في ارتكاب المعاصي فانها  
تخونه احوج ما يكون اليها قال رحمة الله وفي ذلك تفاوت معارف الناس وهمهم ومنازلهم. فاعرفهم من كان عارفا بأسباب السعادة  
- [00:03:06](#)

والشقاوة وارشدتهم من اثر هذه على هذه كما ان اسفهم من عكس الامر. صار الناس ان بهذا الاعتبار على اقسام قسم يعرف اسباب  
السعادة والشقاوة. فيتبع اسباب السعادة ويبعد عن اسباب الشقاوة - [00:03:34](#)

هؤلاء هم السعداء في الدنيا والاخرين القسم الثاني دون الاول من يؤثر هذه على هذه يؤثر هذه على هذه يحتمل ان يؤثر السعادة على  
الشقاوة فيتبعه فيكون مثل الاول او يكون مرة يؤثر اسباب السعادة فيؤوب ومرة يؤثر اسباب الشقاوة - [00:03:57](#)

انتكس واسفههم من يعرف السعادة والشقاوة ولا يبالي بالسعادة وانما يركب رأسه فيسير على درب الشقاوة عيادة بالله تعالى من  
ذلك. نعم. قال رحمة الله والمعاصي تخون العبد احوج ما - [00:04:29](#)

كان الى نفسه في تحصيل هذا العلم وايشار الحظ الاشرف العالى الدائم على الحظ الخسيس اللادنى المنقطع الذنوب عن كمال هذا  
العلم وعن الاشتغال بما هو اولى به. وانفع له في الدارين. المعاصي تخون العبد - [00:04:50](#)

احوج ما يكون العبد محتاجا الى الكمال والجمال والى العلم والعمل ولذلك ينبغي للانسان ان لا يحقر الذنوب لا يتذكر انها سبب لخيانة نفسه فربما يكون سببا لنسيانت العلم - 00:05:11

سببا عيادة بالله لذهب لذة الصلاة لذهب لذة القرآن لذهب لذة الذكر لذهب لذة جالس العلم وغير ذلك فينبغي على الانسان يدرك ان المعاصي تحجب الانسان عن الكمالات اذا اراد الانسان الكمال فعليه بالطاعة - 00:05:37

اذا اراد الكمال العمل كمال العمل فعليه بالطاعة وانما ينقص علم الانسان وعمله بقدر ذنبه نسأل الله السلامة والعافية وقد ارسل الى احد الاخوة كلمة جميلة لا ادري لمن هي - 00:06:07

يقول لا يحسين العاصي ان الله يغفل عنه فيرتكب الذنب ولا يبالي. سببتي يوم يجد وبال ذلك ولا بد سببتي يوم ويجد وبال ذلك ولا بد ولنذكر قضية واحدة ابن سيرين قال لرجل يا مفلس - 00:06:28

بعد اربعين سنة وجد وبال ذلك على نفسه فينبغي للانسان ان يكون فطنا نعم. قال رحمة الله فاذا وقع في مكره واحتاج الى التخلص منه انه قلبه ونفسه وجوارحه. وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الجرب. ولزم قرابة بحث لا - 00:06:55

انجبوا مع صاحبه اذا جذبه. فعرض له عدو يريد قتله. فوضع يده على قائم سيفه. واجتهد ليخرجه فلم يخرج معك فدهمه العدو وظفر به. هذا مثال عظيم عليه الذنوب والمعاصي صدأ على القلوب - 00:07:19

والذنوب والمعاصي سبب لصدأ السلاح الذي عند المؤمن على ابا اليه السلاح والجن فإذا ما اكثروا من الذنب كثروا ثم يهجم عليه العدو يريد ان يحاربه لا يوجد السلاح - 00:07:41

لان السلاح لم يكن محدودا لم يكن نظيفا فلم يقدر على عدوه واصبح اسيرا عند ابالة الناس والجن. نعم كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويجرف. ويصير مثخلا بالمرؤث بل احتاج الى محاربة العدو به لم - 00:08:05

تجد معه شيئا. والعبد انما يحارب ويصادر ويقدم بقلبه. والجوارح تبع للقلب. فإذا لم يكن عند ملكها قوة يدفع بها فما الظن بها؟ وهذا يجده العصاة كثيرة لا سببا لفساق منه - 00:08:28

ان احدهم يقع في ورطة والله لا يعرف ماذا يقول لله الى هذه الدرجة تخونه ها نفسه الامارة بالسوء لا يعرف ماذا يقول لربه هو في كربة ما يعرف ماذا يقول - 00:08:46

وانتم تذكرون قصة ذاك العابد الذي اطاع الشيطان ووصل الى مرحلة انه ما عرف ماذا يقول كيف يتخلص بدل ما يقول يا رب رأى ابليس فقال له ماذا افعل يا ابليس يلجم الى ابليس - 00:09:07

هذا الدليل على ان اللاثم والذنوب سبب لخيانة النفس الامارة بالسوء لصاحبها. نعم قال وكذلك النفس الامارة بالسوء اصبحت مثل نشبيها بمثل المهرة التي تعودت على الذهاب الى مكان معين - 00:09:26

وتمرح وتسرح فيها وتعرف اذا ما اردت ان ترکها ما تستطيع. هذا حال النفس الامارة بالسوء لذك لا ينبغي للانسان يعود نفسه معاطل للهلاك ومعاطل هلاك نفس الذنوب ولا صراره عليها نعم - 00:09:56

قال رحمة الله وكذلك النفس فانها تخنث تخنث بالشهوات والمعاصي تتخلص احسن ما يكون فانها تخنث بالشهوات والمعاصي وتضعف. اعني النفس المطمئنة وان كانت الامارة تقوى وتأسدة وكل قويت هذه ضعفت تلك فيبقى الحكم والتصرف للامارة. معنى قوله تخنث من الانحناث - 00:10:18

وهو الغطاء الذي يكون على القلب ثم يصبح منكوسا ويتحمل تخنث يعني تفقد قوتها ورجولتها وتصبح حالها حال متربدة مثل الانسان الرجل الذي يتشبه بالنساء له رجل وله امرأة عيادة بالله نعم - 00:10:48

قال وربما ماتت نفسه المطمئنة موتا لا يرجى معه حياة. فهذا ميت في الدنيا ميت في البرزخ لرحي في الآخرة حياة ينتفع بها. بل حياته حياة يدرك بها العالم فقط. يدرك بها العالم فقط - 00:11:21

هذه حياة كثير من الفساق والفحار عيادة بالله حياة لا يحسون فيها بلذة العبادة ولا بمرارة اللاثم حياة لا يدركون بها الا ملذات الشهوات والامراض فقط والمصاب اما حال المطمئنين - 00:11:41

فانهم اذا فقدوا شيئاً من ملذات العلم والعمل ما صاروا يستطعون الطعام الحلو وتصبح الملذات الدنيوية على السنتهم ذا مرارة لفقدانهم حلاوة العلم والعمل هذا لمن وجدها نسأل الله ان يأخذ ب ايدينا وايديكم - [00:12:07](#)

ويرزقنا واياكم لذة الایمان وحلاوة الایمان فان للايمان حلاوى وللطاعة حلاوة وللعلم حلاوة وللعمل حلاوة من عرفها وذاقها لم يستطع فراقها. نعم قال رحمة الله والمقصود ان العبد اذا وقع في شدة او كربة او بليه. المقصود؟ والمقصود ان العبد اذا وقع - [00:12:35](#) في شدة او كربة او بليه خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو انفع شيء له. فلا ينجذب للتوكيل على الله والانابة اليه والجماعية عليه والتبرع والتذلل والانكسار بين يديه. ولا يطاؤه لسانه - [00:13:04](#)

وان ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه. فينهي القلب على اللسان. بحيث يؤثر الذكر. ولا ينحبس القلب واللسان على المذكور بل ان بل ان ذكر او دعا ذكر بقلب لاه ساه غافل. ولو اراد من جوارحه ان تعينه - [00:13:24](#) هل يمكن لانسان ان يقود جيشه فيهم - [00:13:44](#)

وهو ترك الامرة واصبح العساكر هم الذين يقودون ما يمكن هذه المسألة عظيمة ايها الاخوة لا يمكن لانسان ان يجد طاعة الجوارح ولو اراد الا بسلامة القلب وسلامة القلب مبناه على تربية النفس. مبني سلامة القلب على تربية النفس - [00:14:10](#) كيف تربى نفسك تكرهها على الطاعة تخالف هواها تكرهه على الطاعة تختلف هواها تجوعها تؤلمها تجد بعد ذلك كيف انها تنقاد نعم قال رحمة الله وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي. كمن له جند يدفعون عنه الاعداء فاهمل جنده وضيع - [00:14:42](#) واظعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو عليه ان يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة هذا وثم امر اخوه من ذلك وادهى منه وامر. وهو ان يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار. عند الاحتضار - [00:15:19](#)

الانتقال الى الله تعالى ربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين اصحابهم ذلك فقيل لبعضهم قل لا الله الا الله فقال اه لا استطيع ان اقولها. وقيل لآخر قل لا الله الا - [00:15:40](#) الله فقال شاه رخ غلبتك ثم قضى. وقيل لآخر قل لا الله الا الله. فقال يا رب قائلة يوماً وقد تعبت كيف الطريق الى حمام منجاري ثم قضى. قيل لآخر قل لا الله الا الله فجعل - [00:16:00](#)

بالغناء ويقول حتى قضى. وقيل لآخر وقيل لآخر ذلك فقال وما ما تقول ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها. وقيل لآخر ذلك فقال وما يغنى عني ما اعرف اني صليت لله صلاة ولم يقلها. وقيل لآخر ذلك فقال هو كافر بما يقول وقضى. وقيل لآخر ذلك فقال كلما اردت ان اقول ان اقولها فلسانني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول لله فلس لله فلس حتى قضى. واخبرني بعض التجار عن قرابة له انه احتضر وهو عنده. فجعل - [00:16:50](#)

يجعلوا يلقونه لا الله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذه مشتري مشتري جيد هذه كذا قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذى يخفى عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم - [00:17:10](#)

هذا من اعظم دلالات كيف ان النفس الامارة بالسوء وان الذنوب والمعاصي سبب الخيانة لوقوع الانسان في الخيانة احوج ما يكون الانسان الى قوة الارادة وقوه الفعل عند الاحتضار فاذا لم يكن عنده قوه اراده وقوه فعل - [00:17:30](#)

فانه لا يستطيع ان يقول لا الله الا الله وقوه الارادة وقوه الفعل ما تأتي هكذا تأتي بالطاعة والرجوع الى الله وجماعية القلب عليه فاذا اجتمع القلب وتوجه الى الله فانها تسيل سيلان الماء في قول لا الله الا الله - [00:17:56](#)

نسأل الله لنا ولكم حسن الختام والله من يذكر او يقرأ او يرى حالات بعض الناس الذين يموتون يتعجب اشد العجب من ركوب بعض الناس المعاصي والاصرار عليه يقول احد من يعمل في الشرطة - [00:18:23](#)

انه وجد سيارة منقلبة واذا بصاحبها يغنى وهو محذوف خارج السيارة يقول فذهبت الى السيارة واذا الاغنية نفسها شغالة في السيارة والعكس بالعكس اناس يقولون لا الله الا الله ويقرأون القرآن - [00:18:46](#)

رأيت شيخنا عبید الله بن عطا الافغاني رحمة الله وهو مغمى عليه دخل في غيبة مما يسمى الاطباء بموت الدماغي فوالله الذي لا

الله الا هو رأيته بعيني وهو يحرك فكيه يقرأ قرآن - [00:19:19](#)

وكان هذا حاله حتى قبضه الله تبارك وتعالى والناظر اليه يظنه يحرك فكيه يتكلم ولكن من يعرف حاله يعلم انه يقرأ القرآن شوفوا هذا الانسان الذي حضره الموت قالوا له قل لا الله الا الله. قال يا رب قائلة يوما وقد تعبت. كيف الطريق الى حمام من جابي - [00:19:45](#)

هذا رجل له قصة ذكرها ابن الجوزي وغيره كان يبيع ويشتري في السوق فجاءت امرأة ولم يرى منها شيئا الا عينيها وقالت له يا عبد الله ابن الطريق الى حمام من جاب - [00:20:18](#)

فasher الى الطريق وما ان دخلت هي الى الحمام الا وجد اللوعة والحسرة على عينيها وعلى صوتها. ما رأى شيء اخر منها ربما تكون اقبى حمرة على وجه الارض لكن النفس الامارة بالسوء اذا علقت بشيء تعلق - [00:20:44](#)

اصبح الرجل يقف عند الحمام كل ما خرج انسان امرأة ودخل امرأة يقول يا رب قائلة يعني اين انت يا رب قائلة يوما وقد تعبت كيف الطريق الى حمام من جار والناس ينظرون لا يحسبون مجنون - [00:21:09](#)

حتى اغلق دكانه شوفوا كيف ان الذنوب سبب لفساد الدنيا والدين اغلق الدكان افلس الرجل مرض الرجل فحضره الناس وقالوا له قل لا الله الا الله وهو يغنى بهذا البيت من الشعر يا رب قائلة يوم - [00:21:27](#)

انه قد تعبت كيف الطريق الى حمام من جابه نعوذ بالله من سوء الختام نسأل الله ان يحسن ختامنا وختامكم والعكس بالعكس الذي يشغل بشيء يموت عليه. والله الله اكرم - [00:21:50](#)

من ان يقبض روح انسان وهو يشغل بشيء فيقبض روحه على شيء اخر. الله اكرم من ذلك اذا رأك وانت منشغل بالعلم يقبض روحك وانت منشغل بالعلم - [00:22:11](#)

كما حصل مع الامام مسلم ابن الحجاج الخشيري النيسابوري رحمه الله حياته كلها علم فمات وهو يبحث عن مسألة علمية اصبح يبحث عن هذه المسألة حتى وجدوه ميتا في الصباح - [00:22:31](#)

الانسان اذا كان منشغل بالوحدة والعزلة وجمع العلم كالبخاري مات وهو وحيد منعزل عن الناس انسان منشغل بالمسجد والله يموت وهو في المسجد ان شال انسان منشغل بقراءة القرآن والله يموت وهو منشغل بقراءة القرآن - [00:22:55](#)

حدثني رجل من طلابي ان رجلا مسنا في مسجده كان محبًا للذكر وكان يجلس ولا يخرج من المسجد لا في الصباح ولا بعد العصر حتى يأتي بالاذكار كلها ومنها قول لا الله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء مائة مرة - [00:23:19](#)  
ثم يزيد ويزيد ويزيد وكان رجلا عاميا ما يستطيع يقرأ القرآن ثم يخرج من المسجد بعد ما يصلى ركعتين يقول وهذا حاله حتى كان يوم وفاته يقول قال هذه الاذكار - [00:23:42](#)

وبعد ما قال هذه الاذكار رفع صوته بالتهليل يقول لا الله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. قال ثم سقط ميتا في المسجد - [00:24:04](#)

ايها الاخوة من عاش على شيء مات عليه هذه قاعدة مطردة من مات على سريرة طاهرة ممات على سريرة طاهرة يموت على سريرة طاهرة من مات على خبيئة عمل - [00:24:24](#)

يموت على ظاهر عمل طيب وكما قال مالك بن دينار قلوب الابرار معلقة بالخواتيم نسأل الله ان يحسن لنا ولكم الختام ولا تأمن على حي فتنة نعم قال رحمه الله واذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال ادراك - [00:24:42](#)

قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريد من معاصي الله وقد اغفل قلبه عن الله وعطل لسانه عن ذكره وجواره عن طاعته. كيف الظن به عند سقوط قواه؟ واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزع. وجمع الشيطان - [00:25:14](#)

له كل قوتي وهمتك وحشده عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان ذلك اخر العمل وما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحال. فمن ترى يسلم على ذلك؟ يعني - [00:25:34](#)

والله للاخوة ان هذه المسألة عظيمة مسألة هذه عظيمة حدثني رجل من اخواننا من طلابنا يعمل في السوق منذ اكثر من ثلاثين سنة

وهو يعمل في السوق يقول لاعرف رجل - 00:25:55

واراني هذا الرجل في السوق مرة اذهب اشتري منه بعض الحاجات اراني قال هذا الرجل ايها الاخوة هذا الرجل يقول منذ ان ثلاثة  
سنة وانا عندي هذا الدكان هذا الرجل - 00:26:15

يقول ما عنده شغلة الا يأتي السوق ويغازل هذه يقتل كم عمره تتوقعون يقول من اول ما عرفته وهو متتجاوز الأربعين الان يقول  
عمره سبعين سنة هذى حالته تأمل معي يا اخوان - 00:26:30

هذا رجلان ظاعت قوته وذهبت كل شيء منه. ومع ذلك ما يستطيع يتخلص من هذا البلاء لماذا؟ عاش عليه عاش عليه حدثني رجل ان  
اباه كان مريض في المستشفى يقول وبجانبه - 00:26:47

رجل اخر مسن كبير ويكون لا يستطيع الحراك لا يستطيع الحراك مريض كبر سن ومرظ كل ما جات ممرضة يغازلها يا اخوان ترى الامر  
خطير والله خطير. لا يحسب عبد ان اثار الذنوب والمعاصي هيئه لا والله - 00:27:11

لا والله ظلمة في البصر. ظلمة في البصيرة ظعف وخور في الابدان وضعف وعجز في الایمان ينبغي للانسان ان ينتبه الانسان يحسب  
انه خلاص الامر هين لا افرض انك هلكت مرضت كيف تتقوى الان - 00:27:35

عبالشت الجن والانس لن يتركوك نعم قال رحمه الله فهناك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ويضل  
الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا -  
00:28:04

من قلب بعيد من الله تعالى غافل عنه متبع لهواه اسير لشهوته ولسان اسير ولسان يابس من ذكره وجوارح معطلة معطلة عن  
طاعته مشتغلة بمعصيته ان توفق للخاتمة الحسنى الذي يريد الخاتمة الحسنى - 00:28:32

وهو مصر على الذنوب والمعاصي كمن يريد الوصول الى البر وهو راكب سفينة بلا تجديف ولا رياح ولا شراع هل يمكن؟ ما يمكن الله  
جل في علاه اكرم فهو يثبت الذين امنوا - 00:28:57

طيب والفساق والفحار؟ يبقون على فسقهم الا ان تكون لبعضهم اعمال وخبية افعال فيدركم الله بذلك فهذا من فضل الله والله يمن  
على من يشاء بفضله نسأل الله ان يمن علينا وعليكم بفضله وكرمه - 00:29:22

وجوده واحسانه. فوالله ما نحن باهل لشيء ولكن فضل الله واسع ورحمته اعظم نعم قال ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكان  
المسيئين الظالمين قد اخذوا توقيعا بالامانة ام لكم ايمان علينا باللغة الى يوم القيمة؟ ان لكم لما تحكمون. سلهم ايهم بذلك زعيم.  
والله - 00:29:47

جميل خوف الخاتمة كاد ان يقطع ظهور وقلوب المتقين واما المسيئين الظالمين في امن من الخاتمة كان عندهم توقيع من رب  
العالمين هذا امر عجب يا امنا مع قبيح الفعل منه اهل - 00:30:18

اتاك توقيع امن انت تملكه جمعت شيئا من امنا واتبع هواء هذا واحدا هما في المرء تهلكه والمحسنون على درب المخاوف قد ساروا  
وذلك درب لست تسلكه فرطت في الزرع وقت البذر من سفه فكيف عند حصاد الناس تدركه - 00:30:42

هذا واعجب شيء فيك زهدك في دار البقاء بعيش سوف تتركه. من السفه اذا انت ام المغبون في البيع غبنا سوف يدركه  
نسأل الله ان يرزقنا واياكم الفطنة - 00:31:14

والبصيرة والتوبة والآوبة والثبات على الدين والطاعة والعلم والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى الله وصحبه اجمعين  
والحمد لله رب العالمين - 00:31:36